قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم

شاكر مصطفى

يهم « الآداب » ان تكرّر انها تطلق لكاتب هذا الباب الحرية كلها في الادلاء برأيه حول مقالات المجلة من غير ان يكون في ذلك أي تعبير عن رأيها الخاص . فعلى الكاتب وحده تبعة ما يقول .

اجل ! قرأت العدد الماضي ، من الآداب : (عدد القصة) ولقد أقبلت علية إقبال النهم على المائدة السخية ، عمل في إعدادها عشرات الطهاة وأحرقت في وقودها مئات الشموع والقلوب ... لم يكن في إمكاني ، وعيوني تركض بين السطر واخيه ، والصفحة وجارتها ، ان انسى أن مائة يد صناع قد احكمت صوغ كل عنوان ، ونحت كل كلمة ؛ وان عليّ ان اعدّ حتى المائة – واحياناً الى الألف – قبل ان افكر برشق أي بناء بزهرة أو بحجر ! هذا الى انني ممن يكرهون ثوب القضاة ، سواداً وطريقة ، ويؤمنون ، أكثر من هذا ، بنسبية القيم ، وشخصية النقد ، ويكفرون بال « موضوعية » في الفن.. يكفرون حتى الغثيان !

مضيت في القراءة ، شروداً ، على عادتي الأثيرة ، شرود الفراش القلق . وإذا كان يهم احداً ما همست به بيني وبين نفسي ، فهذه هي الهوامش والحواشي بشوكها وعطرها الوحشي.. وهل يخرج عابر البستان إلا بالشوك وبالعطر ؟

قصة « ثائران »

تتصدر العدد ويعلوها اسم يدفعك دفعاً لأن تبدأ بها اول ما تبدأ . وتسرع في القراءة كأنك تود ان تكون اول مستنزف لهذه الثروة الساحرة المسحورة.. وسرعان ما يخيب ظنك ، كما خاب بي الظن ، مع تعاقب السطور. فالقصة فاشلة في موضوعها وفي عرضها الفني على السواء . ولعلها أقرب الى ان تكون هيكل رواية ، منها الى قصة صغيرة . فقد جمع الاستاذ نعيمه فيها عناصر المأساة كلها ... ومواقف يوسف وهبي على المسرح!! وأغلب الظن انه لولا اسم ناسك « بسكنتا » الذي يتوجها ، ونفحة من الروح الاشتراكية في بعض سطورها ، لألقى بها العدد ظهرياً . وربما لم يجد لها من مكان فيه .

إني في الواقع احترم الاسم العريض الذي يتمتع به الاستاذ ميخائيل نعيمة – ولعلي ايضاً احبه – ولكن أليس عليه ايضاً ان يحترم قراءه؟

« تسع بنادق »

قرأت للاستاذ خليل هنداوي الكثير الجيد من الانتاج ، والعديد الوفر من ألوان الأدب . ولكني استميحه العذر إن طلبت اليه ان يعيد النظر في مسرحيته أم البنادق التسع ! فهي على نبيل الشعور الذي اوحاها، تمتح من سطح المأساة لا من اعماقها ؛ ليس فيها تلك التجربة الحية التي تمنح الأدب لحظة الخلود . ليس ثمة من جو في المسرحية ولا صورة واضحة مؤثرة لشخصياتها ، ويضعف حوارها احياناً – وكل قوة المسرحية في إدارة الحوار – للدرجة التي تضحي معها اشبه بريبورتاج صحفي منها بقطعة من الادب القومي .

ولعله من قبيل المصادفة الحسنة ان تكون مسرحية (العادلون) مترجمة في العدد نفسه وان يكون مجال المقارنة واسعاً امام الاستاذ وامامنا ... واسعاً لدرجة التكفير !

« أوعية الصديد »

أنا لا أكتم دوماً إعجابي المبرر بشاعر دمشق الأستاذ نزار القباني لا سيما في انتاجه الأخير ... ففي قلبه كنز من الصور وعلى لهاته لغة من الشعر ، الله لها ! بسيطة ، مما تقوله انت وأنا في الطريق ، عفوية كلغو الوليد ، ولكنها تعرف كيف تخفي وراء بساطتها وعفويتها الأعصاب التي مزقت ، والنصب الذي الذي أريق ، سخاءً وقرابين ، لتستوي القوافي وتنهل ، نغماً ورؤى وفكرة !

و «أوعية الصديد» لحظة من لحظات المرأة – والرجل ايضاً – لحظة ينبح الوريد ويتبدد الشعر ويضيع اللهاث في ... « قبو من جليد» أصمّ.. وأجمل ما في القطعة تلك النفحة الانسانية فيها :

يا ويح أوعية الصديد !
هل ليس تملك أن تريد
... ولا تريد !!

« بابا نويل »

هي من روائع الشعر التي اشتهر بها الأستاذ مارون عبود (فالشدياق) ، بتقاه ومبامره ومسيحه أحد تلك الوجوه النادرة التي ضاعت ، وتضيع اليوم بين ثلوج لبنان وصخره وغابه .

ولكن (بابا نويل) صورة لا قصة . فلا بد في القصة من حـــادث . لا أقول لا بد من عقـــدة أو مصير يحبك ... لا ، ولكن لا بـــد للشخصية المصورة من أن تمارس دوراً في الحياة ، من أن تسير على الأرض وتصطدم ولو بشوكة من شوكها أو تشرب قطرة ندى . لا بد من أن تتحرك في جو وشروط معينة وتنبيء عن تصرف في لحظة — عقدة !

و «الشدياق» صورة قوية آسرة يرفدها خيال حلو وأسلوب متين رقيق وثقافة تجتذب من أعماق الجاهلية للشدياق « لحية الشنفرى » وألفاظ امرىء القيس !

ولكن « الشدياق » ليس بقصة !... أم تراني أتجنى ؟

« ليلة في القرية »

قصيدة جيدة الوحي ، ولكنك تحس ، برغم ما تأسرك بـه احياناً من صدق الشعور ، أنها تتهالك على قوافيها تهالكاً ، وأن وحي الشاعر فيهـــا ينقطع قبل أن يدرك القافيه فتأتي مهلهلة لصيقة ، كالذيل الاضافي : فعشر قوافٍ من القسم الاول فيها (وهو ١٤ بيتاً) عبارة عن نعوت لبعض ما في الأبيات : غائم ، قاتم ، حالم ، ناعم ... وتتبدل القافية فلا تتغير طريقة ترقيعها ، وتجد في أربع قوافٍ متتالية هذة الألوان : زرقاء ، خضراء ، سمراء ، حمراء ، ثم تأتي بعد قليل سوداء ، ولست ادري فيم أهمل الشاعر بقية سلسلة الألوان في القوافي الباقية !

« القصة العربية في افريقيا الشمالية »

مقال ، كم تمنيت لو أتيح لي ولغيري المزيد منه ، المزيـد من ذلك الأفق العربي البعيد الذي « يغربونـه » بلفح السياط وقضبان المعتقل !.. شاقني أن أعرف اسم أخ لي ما سمعت بعد به ، ونتاج ابن عم ما التقيت به على صفحة ! المسعـدي أضحى صلة الروح بيننا وبين تلك الأرض العربية المعذبة ، وكرباكه والعربي وفرعون وديب .. رسل كنياط القلب بيننا وبـين قطعة من الأهل والسكن ، ويجب ان نعرفهم رسولاً رسولاً !

على أني أعتب على الدكتور سهيل إدريس ، ولعلي إذا تذكرت ما أخذه على نفسه في مستهل العدد نفسه من محاربـة الاستعمار والتجاوب مع المجتمع العربي ووعي الرسالة .. لعلي إذن ألومه وأعنف كل العنف في اللوم . انه يقول : « وتذكر اسماء أدباء من أفريقيا الشماليـة **وخاصة من الجزائر**، حظيت آثارهم بالتقدير وعلى رأس هؤلاء البير **كامو** وعمانوئيل **روبلس**.» ثم يقول في الفقرة نفسها بعد قليل « .. ومنذ عامين نشأ جيـل من **الأدباء الافريقيين** تميز نتاجهم ببروز اللون المحلي ومن هؤلاء مولود **فرعون** ومحمد **ديب** .. » لا يا دكتور ! لو عكست على الاقل او لو تمردت على المفاهيم الاستعمارية الفرنسية ! هؤلاء الاخيرون ، هم ، رغم غربة اللغـــة ، هم الجزائر ، هم المغرب العربي وكل زهرة فيه . واولئك هم النبـــات الغريب ، هم «المتأفرقون» ولم تجر ذرة من دماء اجدادهم في ذلك التراب !*

« بنادق في لواء الجليل »

ثلاث أقاصيص يجمعها انها قصص بنادق ، وقصص بنـادق سالت يوماً على بطاح فلسطين . ومن وراء خشبة كل بندقيـة وحديدها تبرز شخصية وحكاية . والدكتور العجيـلي قصاص فنان ، عتيق « في الكار » لا خوف ان يزل به الجناح المريـد ولكنه مع ذلك ترك لي ولغيري ، هـذه المرة ، ان نتساءل : وأين أقاصيصك الرائعة التي اعتدنا متعتها يا دكتور ؟ بنـادق الجليل ، البندقية الأخيرة منها ناجحة ولكن الباقيات ..

الصخب والعنف

حين قرأت هذا العنوان يتقدم ثمانياً من الصفحات ملأى ، وقرأت أنها تحليل نقدي لرواية « وليم فوكنر » استعذت بالله ، وقمت أتلمس تلك الرواية في مكتبتي والحواشي التي زحمتها فيها بين سواد الحروف .. خشيت ان يلقيني التحليل منهـا في غيم جديد فأرتاب حتى بالذي لاح لي فيها من صخور مستقرة !

ولكني أعترف للاستاذ ابراهيم جبرا بالتوفيق الكبير . لقد عرف كيف يمر بذلـك « الصخب والعنف » اخرس الخطو ، هادىء النفس ، وعرف كيف ينبش تلك القطعة الفنيـة المدهشة زاوية زاوية .. أرأيت كيف قاد (ڤيرجيل) دانتي عبر الدار الآخرة ؟ تسير مع الكاتب وأنت مطمئن الى انك في صحبـة عين فنانة ثاقبة ، وتمضي معه فاذا الفوضى تستحيل نظاماً ، وما لا منطق فيه يصبح منطقاً عذباً ، وتخرج اخيراً معه كما خرج و « قد شهدت البداية والنهاية » !

تمنيت لو ترجم الاستاذ جبرا رواية (الصخب والعنف)

★ تعليق : أقر الاستاذ شاكر مصطفى على ملاحظته القيمة ، واعترف انه كان ينبغي لي ان اميز بين الافريقيين و « المتأفرقين » ، وهذا لا يعني اني غير معجب بنتاج هؤلاء « المتأفرقين » وعلى رأسهم كامو . [س.ا]

الى العربية ، ليضع مقاله هذا ، مقدمة بين يدي كل قارىء !

علبة الثقاب

قصة تظل تمشي عادية ، هينة ، وفي شيء من تفاهة الحوار ومن التطويل ، احياناً ؛ حتى السطر الاخير ، إذ تبلغ الذروة وتنجح ! واعتذر للاستاذ الصقر إذا كنت لم أقرأ له بعد ، ليصح حكمي ، ولكني ألمح في ثنايا قصته هذه ، الطريقة « التيمورية » المعروفة ، ألمح القصة المصرية قبل خمس عشرة او عشرين سنة !

الأقصوصة الروسية الحديثة

المقال مترجم عن كاتب روسي ضليع . ولهذا فهو نافذة للاطلاع على الأدب السوفياتي الحديث . وما به من العرض والتحليل يمكن ان يكون نموذجاً للدراسة ، لولا انه يهمل بعض الكتاب الروس الآخرين. ولا شك ان الاستاذ البعلبكي قد وفق في انتقاء الموضوع ، على اي حال ، توفيقه في ترجمته الترجمة المثلى .

« العادلون »

اما المسرحية نفسها فليس لي دون شك ، ان أتحدث عن قيمتها وان اقف عند مفاهيم العدالة المتباينة بتباين شخصياتها : من (ستيبان) الذي يقبل حتى بالجريمة والخداع والكذب لنجاح الثورة ، الى (كاليايف) الذي كان يناضل من اجل الحياة لا الموت ، ولتحرير العبيد لا في سبيل العدالة المطلقة ، الى الحبيبة الثورية (دورا) الى (انكوف) ... ما المجال هنا بمجال تحليل قطعة اضحت قمة من قمم الادب الانساني ، وقطعة مني ومنك ومن كل ظليم ثائر ، على كرة الطين هذه ، يهزه التوق العنيف الى مثل اعلى !

على انه يجب ان احمد اولاً انتقاءها للترجمة ، وانا ما كدت ارى العنوان حتى اقبلت اعبّ السطور عباً حتى ستار الختام . ان لي فيها لنشوة سالفة كنت اخشى ان يكون الثوب العربي قد ذهب بها ، وإن لي فيها لمقاطع حفيت الأحرف في نسختي لما مرت عيني عليها ، فأين هي الآن ؟ وكيف خرجت في لغة أهلي ؟

إني اسمح لنفسي ان اهنىء الأخ اميل الشويري على مبلغ توفيقه في الترجمة بالرغم مما اخذ به نفسه اخذاً من نقل حرفي ، أفقده ، في بعض الأحيان ، أو كاد ، رواء القالب العربي . فأنا أعرف كم قاسى في الترجمة ، وكم تألم في تصيد الكلمة الملائمة والمعنى الهارب ، وصب الفكرة « الكاموسية » في الصيغ القرشية (١) !

أشتهي أن تقرأ هذه المسرحية معي نفوس تجتر لهبها كالنار في صمت الزوايا، وقلوب أعرفها وأعرف ما يرهقها من حقد رفيع ؛لعل كلمات (كامو) تساعدها على أن تجد اطمئنانها المر الرهيب في « الانسجام مع الجريمة » العادلة !

غمامة تذوب

قصة السيدة وداد سكاكيني ، تبتدىء ،على السنة التقليدية ، بمقطعين من وصف النيل والنخيل والمساء والانوار ، ثم تنقضي صفحة كاملة في الدوران حول شخوص القصة الثلاثة تمهيداً «لحادث» القصة الذي يبدأ قبل النهاية بأربعة مقاطع :«...وبقي القدر يضحك ويقهقه حتى ... » كان زواج !

والقصة في جملتها جيدة ، يزينها ما تعودناه من صاحبتها من أسلوب رقيق. غير أنك تفاجأ، هنا وهناك، بما تشعر معه التصنع وحك الورق . وتفاجأ مرة ، خلال العرض ، بالكاتبة نفسها ، وقد مزقت جو القصة الخاص ودخلت بنفسها بين الحروف لتقول ، بعد صفحة كاملة من التحليل : « ... ولقد قيض لي أن أتسلل إلى تلك الأنفس وأتدسس على ما ظهر منها وما بطن ، دخلتها وبيدي مصباح ... الخ » . ترى لو لم يقيض لها ذلك ولم تتدسس على تلك الأنفس التي خلقتها بيدها فماذا تراها كانت صانعة ؟

القطار الصاعد الى بغداد

وهذه ايضاً صورة لا قصة ، صورة حية لراويها الذي كان ذات ليلة على الطريق الصاعدة الى بغداد ، وترك الصور من ذكريات ومشاهد وتعليقات ، تقفز مرة بعد مرة الى مسرح نفسه . إن إحكام الأسلوب ومتانته تمنعك من ان تحسّ في العرض « عفوية » النفس المنفعلة، كما ان اعتماد الكاتب على وصف المناظر الحسية في الغالب— يمنعك من أن تغرق فيما وراء الأسطر ، وتفترض ،من خلف الكلمات ، دهاليز وأروقة خلفية مفعمة بالشعور الانساني ... ومع هذا فأنت تشعر حين تغمض عينيك بعد النهاية أنك أمام قلم موفق.

شجرة عيد الميلاد

حين انتهيت من قراءة هذه القصة ، خيل إلي أني أعرفها ،

(١) تسنى لي منذ ايام ان اقرأ الفصل الثاني من المسرحية مترجماً في مجلة « الثقافة الجديدة » العراقية عن الانكليزية فأي بون ... لقد وجدت من واجبي ان اكرر التهنئة للأخ شويري .

وأعرفها منذ قليل ... وسرعان ما وثب خيال (الشدياق) [شدياق الاستاذ مارون عبود في العدد نفسه] إلى خاطري ليقف الى جانب (الجد) في هذه القصة . وغريب أمر هذا اللقاء بين قلمين في مدى بضع صفحات من مجلة واحدة : فكلاهما صورة عجوز شيخ من لبنان : جد يقدم عليه مسافر غائب ، في ليلة الميلاد . وكلاهما يودع الحياة تلك الليلة ... ولئن كانت حركة « الحادث » القصصي اكثر ظهوراً في شجرة عيد الميلاد فشخصية الشدياق أبرز واكثر اسراً وحرارة !

الحكيم

سمعت بالرواية من الأستاذ عبد الله عبد الدائم، فلما وجدتها ملخصة ذلك التلخيص الذكي الكامل ، بقلمه ، العميق اللفتة ، المنظم الفهم ،حمدت له هذا الغذاء السخي ، وسررت في قرارتي ، لما وفر علي من جهد .

قدمت المجلة [1] للتلخيص بكلمة قالت فيها « ... وكتاب الحكيم خير ما يمثل هذا الأدب الاجتماعي القومي الذي نتعطش له والذي يستطيع وحده أن يملأ نفوس الشعب وعياً وعزماً ...» ولكنك حين تستوفي القراءة تتساءل : « أهذا هو حقاً الأدب الاجتماعي القومي الذي نتعطش اليه والذي يستطيع وحده ... الخ » ؟ أسمح لنفسي ان أشك في هاتين الحقيقتين : فالرواية ، على ما بها من مظاهر العمق ، إنما تكشف عن مفاسد المجتمع « الحكومي » وليس عن مشكلة المجتمع في أعماقها ؛ تفضح سوء الادارة المسيطرة ولكنها لا تمس مأساة الروح المصرية نفسها . وإلا فأين الذات العميقة المعذبة ؟وأين القلق الثائر والحقد المبدع؟

الكاتب يدهشك بسعة اطلاعه – وهو أجنبي – على تفشي المفاسد وتغلغل الاستعمار ولكنه لا يغور بك إلى رعشات الأعماق ،يصف لك بؤس الفلاح ولا يعيش معه جوهر المأساة . يغريك بنشوة من يقرأ الفضيحة فيحس خدر التشفي ولكنه لا يضعك ، من الرواية ، في قلب المعركة !

ليس يكفي ان يعرض الأدب لذكر المفاسد كي نكال جبينه بغار «الأدب الاجتماعي» ، وليس يكفي ان يبكي البؤس ليكون « وحده » طريق العزم والوعي ... ورحم الله تفاؤل سقراط ! إن الآداب التي ساقت الأمم في طريق العزم والوعي ما كانت بؤر « هباب » فقط ولكن كانت ايضاً غزلاً بشفة ، وقلقاً على فجر ، وإغفاءة عند نجم !

فيزيولوجية القصة

كتاب طالما تقت لأن أعبر صفحاته الاولى عبثاً ... كان الكتاب نداء اخرس عندي في زاوية المكتبة ، ما فضت صفحاته ، كالكثير من مثله . وكان وقتي الشحيح يدفعني في كل باب سوى ان استجيب لذلك النداء ! حتى جاءت (الآداب) فقدمته لي في « برشامة » ! قدمته في تلخيص واف قوي ، استطاع رغم اتساع الأفق أن يجمع فضفاض الثوب في أشبار ، ويقتصر من الكتاب على ما يبرز معالم القصة جميعاً من الطبيعة والموضوع ، الى العقدة والأشخاص ... الى التأليف الاخير !

أنا موقن ان دراسة « النحو » لا تخلق الكاتب ، ومعرفه « تكنية » التصوير لا تخلق الفنان ، وان اي انتاج عبقري ، قد يتحدى كل تحليل ويمد لسانه لكل قانون !.. ومع ذلك فاقرأ هذا المقال الواسع على تعقيده فانك واقع فيه على النسيج الخفي لهذا الفن القصصي الذي يسلبك وقتك ومالك وإعجابك... في كلمات ؛ وإنك واجد في الكتاب بعضاً من اللذة الحرام او لوناً من الخيبة او شيئاً بين هذا وذاك ... أتعرف صائد الفراش في لذته الحرام وخيبته ؟

« صفعة سوط »

القصة الفائزة !.. كان بودي لو تجاوزتها بعد ان حكم لها خمسة ، هم الأدب كله أو بعضه في لبنان، ولكن ما كان لجهيزة ان تقطع قول كل خطيب بعد ان دفعت القصة ، مع تاجها ، للناس ، ولأحكام الناس !

ولا اريد ان اسيء الى الفائز ، وهو صديقي ، ولا ان احمل البسمات الى من اجهل من الفاشلين ، إذا قلت ان صفعة سوط تدل على قلم لم يمارس القصة طويلاً بعد !

ان نجاحها يقطع دون شك بوجود إمكانيات واسعة لدى الاستاذ مطاع صفدي حبذا لو اخرجها الى النور ولكنها ... هي ، لا سيما في بعض اسلوبها الغامض في المطلع ، وفي حوادث الطلاق والزواج المفاجئة بها ، تقف جامدة ، كالفكرة الحرون أو كبناء المقوّى ، أهرقت عليه أطيب الألوان ! ثم إنها طويلة الأحداث جداً ، طولاً لا تحتمله القصوصة ! أليس يوافقني على ذلك حضرات المحكمين ؟

على ان أسلوب القصة القوي ، هو الذي يغفر لها ، وقمتها الرائعة التي تحلق بها في المقاطع الاخيرة ، هي التي شفت لها

---

(١) نودّ ان نوضح هنا ان هذه الكلمة مقتبسة من مقال الاستاذ عبد الدائم، وليست هي مقدمة من المجلة. (الآداب)

الطريق الى الجائزة الاولى. وفيها لمحات من التحليل كم تمنيت لو ظل الكاتب دوماً في مستواها ... إذن لكانت قصته الاولى في كل قلب !

« الى حين »

لعلها هي القصة الثالثة التي اقرؤها لسميرة عزام ولكنها جميعاً حملتني الانطباع نفسه عن الكاتبة: خفة الظل وقلة التكلف في الاسلوب والموضوع على السواء. وشخصية العمتين هنا موفقة الصورة بأنانيتها، وطمعها المحرك، وهذه الصورة ما تني تتكامل وتتضح خلال القصة بالعديد من الحوادث والملاحظات. على ان موقف البنت السلبي ... كل مرة، وهي الفتاة اليافعة، المسوقة سوقاً لاغراء « ابن الجيران » قد يجعلها اشبه بقطعة صيد لا بإنسانة من لحم ودم ... وعواطف. وخروجها من لعبة النار، دون جذوة في القلب قد يكون محتملاً ولكنه يجردها ويجرد القصة معها من الالفة الانسانية ليجعلها لعبة دمى.. أليس كذلك ؟

« الحي اللاتيني »

... وتنبسط في نفوس الكثيرين شوارع (سان ميشيل) و (الروديزيكول) و (السوربون) و (دوبون)... طولاً وعرضاً وتتدفق فيها، ابراج بابل من السحن والازياء واللغات، وتنبعث من كل ذلك نكهة، كنكهة الخمر الحارة، لا يفهمها إلا المدمنون.. هذا الحي هو كل باريس، كلها في عرف الكثيرين ممن مشوا البحر الى ذلك الكون السحري على السين !

وأخشى ان يُظن بي ملق الصداقة اذا انا مدحتك، يا دكتور، بعد ان كنتُ (حُطيئة) العدد !! ولكنك قدمت في صفحات الختام دراسة عميقة، حلوة العرض والأسلوب، لعشرات اعرفهم وتعرفهم ممن يحملون، هنا، طائعين او كارهين، اقنعة الشيوخ، ووقار الورق المقوى ... حتى اذا ...

لا ! ليس فيما كتبت جرح الاعتراف، فهو اعتراف « جماعي »، وصورة لساعة قلق هي، في واقعها، حياة كاملة، حياة جيل بكل من فيه !

ولقد كنت أود ان تقصد من مواقف الغرام وأن تعطف على مشاعر اخرى، ما اخصبها، تمور في الحس وتسيل في الدروب، وأن.. وأن.. ولكن لا ! يجب ألا اقول هذا ولا بعضه فلقد قطعت علينا الطريق بانها قطعة من رواية.. فلننتظر! عفواً !

لقد نسيت الشعر في الطريق، ومعظم قصائد العدد كانت قصصاً ... واحسب ان ذلك كان امراً مقدوراً، ولكن... اذا كان من الصعب حوك القصة الموفقة نثراً مطلق القيد فكم يتعقد الامر في سوق الحكاية مثقلة برنين الوزن والقافية والروح الشعري. ولا عجب بعد هذا ان تفشل كل المحاولات !

فـ« أنا الماضي » لولا نجاة بعض الابيات فيها لكانت شيئاً من الشعر العادي. و « حياة إنسانة » مثلها في ذلك لولا هذه القوافي «المنونة» (مذعورةً، مأسورةً، حكمةٍ، تخمةٍ...) التي تجرح الخيال وتقف كالشوكة عند القلب !

وفي « احتضار الفنان » أحببت القصة التي نسجت حولها الابيات لا الابيات ! ولقد تركت حكمة الفنان المحتضر في نفسي ديوان شعر كل قافية فيه كأس ومزهر ... فلما قرأت القصيدة ذابت القوافي وتلاشى الديوان فما بقيت من الشعر كلمة ! وانحدرت بي الذاكرة الى بعض شعر الفقهاء وأنا اقرأ :

« وها أنا (ذا) قد شخت والحب ضاع
فأصبحت من بين غث المتاع
« ومـا قيمة العيش دون الهوى
بحسبك في الفن نبع روى !!

و « نبأ من سبأ » اكثر القصائد – القصص نجاحاً وأوفاها نصيباً من الفن الشعري. وأما القصيدتان اللتان تستوحيان فلسطين: «قبية الشهيدة» و « في القدس عند المقبرة » فالأخيرة منهما اقوى نفساً وشعوراً من الاولى.

وقد تذكرك قصيدة (التائه) مباشرة بعمر ابي ريشة فهي ليست من مدرسته فقط ولكن تنهب من قوافيه وصوره. واما قصيدة (السجين) فما تزال تحتاج الى الكثير..

وبعد، فقد بدأت وفي ظني ان يكون بيدري بضعة افكار مستعارة، تضمها عدة اسطر.. او هكـذا اوهمتني الرسالة الرقيقة التي طلبت اليّ قراءة العدد. اما الآن فأجدني انا نفسي بعض ما في البيدر !! واجدني، شئت ام ابيت، انا الحصّاد والحصيد في وقت معاً. إني لأذكر لطاغور قصيدة يأتي فيها العاشق الى حبيبته فيقول:

– انا راض يا حبيبة بتلك الزهرة التي تسقط عفواً من شعرك!
فتجيبه – انا اعلم ايها السائل المتواضع! انك تطلب كل ما عندي!
– انا اقنع بذلك المنديل الذي كان مرة يجاور قلبك !
– انا اعلم ايها السائل المتواضع انك تطلب كل ما عندي !
اجل قرأت العدد الماضي من الآداب...لكني، واخجلتاه، ما كنت اعلم انه يطلب – على فقري – كل ما عندي !

دمشق **شاكر مصطفى**